وقد كاتب الشاعر العصريّ الطيّب الذكر الشيخ ناصيف اليازجي ومدحهُ بقصيدةٍ مطلعها :

بحور الهوى قد اغرقت كلَّ سابحِ وقصَّر في ميدانهِ كلّ راجحِ

فاجابهُ الشيخ ناصيف عليها بقصيدةٍ من بحرها وروّيها منها قولهُ في مدح جرجس ايلا :

هويتُ الذي اعطى العلومَ فؤادَهُ فأعطَتْهُ منها سائغاً بعد بارحِ
تيمَّنتُ باسم الخضر فيهِ وطالما ترى المرء لا يخلو اسمُهُ من لوائحِ
وجدتُ بهِ بل منهُ متعةُ سامعٍ ويا حبَّذا لو نلتُ رؤية لامحِ
به حسدتْ عيناي أذني وربَّما تُخصَّص بالإقبال بعض الجوارحِ

فهذه نبذة وجيزة من اعمال أُسرة ايلا الفاضلة نتمنّى للخلَف من ابنائها ان يسيروا على ادراج اسلافهم لا سيَّما في استمساكهم بعرى الدين فيزيدوا على فضلهم فضلًا ويكونوا لوطنهم فخرًا

بعض اديار مصر القديمة

لحضرة الاب ميخائيل جوليان اليسوعي (تتمَّة)

• دير الفاخوري

بين الرمال التي تمتدُّ في سفح سلسلة الجبال الليبيَّة على بعد ٢٠ كيلومترًا شمالي شرقيّ اسنا ديرٌ قديم لا يسكنهُ ديَّار تدلُّ آثارهُ الباقية على اتّساعهِ وماضي عظمتهِ مع انَّ الكتب العديدة التي نُشرت في القرن المنصرم عن بقايا مصر لم تتعرَّض لذكرهِ . امَّا الاقباط الذين يسكنون وادي النيل من الاقصر الى اسوان فهم يعظِّمونهُ ويحجُّون اليهِ زرافاتٍ يوم عيد الراهب القديس الذي شرَّفهُ بفضائلهِ وكراماتهِ اعني القديس متى الفاخوري . وهم يزعمون انَّ احد ملوك الحبش ابتنى هذا الدير شكرًا لله على شفاء ابنتهِ المدنفة على الموت بشفاعة متى المذكور

ودونك ما ورد عن هذا القديس في السنكسار القبطي الذي نقلهُ الى الالمانيَّة

المستشرق وِستِنفَلد (ص ١٥٨) في اليوم السابع من شهر كيهك قال: « وفي هذا اليوم انتقل الى دار الخلد الفقير القديس متى وكان رئيساً على دير في جبل اسنا ممتازًا باعمال البرّ والصلاح وكان يطرد الشياطين ويشفي كلّ المرضى الذين يدعو لاجلهم باسم الربّ . ومن معجزاتهِ ان قوماً اتوهُ بامرأة لم يُعرَف لدائها دواء فاوحى اليهِ الروح القدس بانَّ مرضها عقاب لخطيئة اجترحتها وهي انها اقترنت باخوين تتالياً فاضطُرَّت الى ان تبوء باثمها علناً فتلا القديس عليها صلاةً وما كاد ينتهي من دُعائهِ حتى خُسفت بها الارض وصارت عبرةً للحضور . . . وكانت سباع البرّ وضواري الوحوش تأتي القديس فتقتات من يدهِ . . . ولمَّا وافاه الاجل انتقل بسلام الى مقرّ الابرار »

وقد ذكر الشيخ ابو صالح الارمني (١ متى الراهب وهو يدعوهُ متيوس العابد ويروى عنهُ انهُ صار اسقفا على اسنا وانهُ لمَّا قدم البلد خرج الناس بين نصارى ومسلمين لاستقبالهِ . وفي معرض كلامهِ يذكر ائتلاف الاهلين في ناحية اسنا مع اختلاف الاديان فقال ما حرفهُ : « وفي اعراس المسلمين وافراحهم يحضروا النصارى ويقرأوا قبطيًّا صعيدي ويمشوا قدام العريس في اسواقها وشوارعها وصار هذا عندهم عادة مستقرَّة الى عصرنا نحن . وفي ليلة عيد الميلاد المقدَّس من كل سنة يوقدوا المسلمين والنصارى شموع ومصابيح واحطاب بجملة كبيرة » انتهى

(قلتُ) وهذا كل ما امكنني جمعهُ عن ترجمة الراهب متى الفاخوري وديرهِ الذي قصدتُ زيارتهُ لاصف آثارهُ

وكان دليليَّ الى هذا الدير رجلين من ذوي الأُنس واللطف احدهما من تلامذتي الأقدمين وهو اليوم ناظر البريد في اسنا . والآخر كاهن قبطيّ اورثذكسيّ يتولَّى ابوهُ (وهو كاهن مثلهُ) امر هذا الدير وبيدهِ مفاتيحهُ

ولمَّا قطعنا مسافة ثلاثة ارباع الساعة من اسنا عثرنا فوق تُلَّة جرداء على صفائح من الحجارة مكتوبة بالخطّ الهيروغليفيّ وعندها اساس حيطان ضخمة وهي اطلال هيكل قديم كان مشيَّدًا للاله خنوم . وقد وُجد ثمَّت بعض الآثار قيل انَّ من جملتها رسم منطقة البروج وفي الكتابات اسماء القياصرة وبعض الشعوب الشرقيين كالفرس

١) راجع الصفحة ١٢٩ من تاريخهِ (طبعة اكسفرد)

والقدونيين وغيرهم . واهل هذه الناحية يدعون هذا المكان باسم دير الحجر اشارةً الى انَّ هذا الهيكل جُعل ديرًا على عهد النصارى

وكانت طريقنا في ارياف على حدود صحراء مجدبة يغطّيها الرمل . ولم تزل سائرين حتى لاح لنا الدير في وسط الرمال على مسافة كيلومترٍ من الارض المزدرعة وهو عبارة عن ابنية عظيمة تجاورها قبورٌ نصرانيَّة بيضاء كالثلج لطيفة المنظر

ولا يختلف دير الفاخوري في هيئتهِ عن بقيَّة الاديار القبطيَّة المبنيَّة في صحاري مصر فلهُ مثلها سورٌ رحبٌ مرصوص البنيان منيعهُ يكتنف معاهد الدير وبرجًا مربَّعًا واسعًا يتحصَّن بهِ الرهبان عند الحاجة ويشرف على كل الدير وملحقاته . وممَّا بقي منهُ الى عهدنا يُستدَلُّ على انهُ كان من اعظم اديار مصر القديمة . ولا نشكُّ بانَّ رياضًا فسيحة كانت تحدق باسوارهِ فلم يبقَ منها اثر . واليوم ترى الفلاَّحين يقصدون جوار الدير ليستخرجوا من تحت رملهِ تربةً يدعونها بالسباخ غنيَّة بملح النطرون والسماد النباتيّ يثقلونها على جمالهم ويصلحون بها مزارعهم

وابنية هذا الدير كلُّها بالآجرّ او بنحيت الحجارة وهندستها احكم من سائر الاديار واتقن صنيعًا . وترى آجرّ الحيطان جُعل سافاتٍ على صفَّين صفٌّ منها قائم كما في العقود والقباب وصفٌّ مسطَّح بالتتابع . والابواب على الغالب مبنيَّة بنحيت الحجارة الجميلة تزيّنها الافاريز والطنوف او نقوش من الآجرّ المختلف الالوان تخصّ بالذكر بينها باب الممشى الاوسط الذي يُدخل منهُ الى حُجَر النوم . وهذه الحُجَر كما سبق القول تشمل من ستٍّ الى ثماني دِكَك من الحجارة لاصقة بالحيطان كان الرهبان يتَّخذونها كاسرَّةٍ ينامون فوقها . امَّا البرج فهو ذو ثلاث طبقات كلُّها مقبَّبة وثيقة العقد يُصعد اليها بدرج صعب على آفات الزمان

وكذلك الكنيسة فانَّ الدهر لم يُخنِ عليها كسائر ابنية الدير وهي تمتاز بزخرفة بنائها وجمال نقوشها . ويُستدَلُّ على انهـا سبقت الفتح الاسلاميّ بهندستها الشبيهة بالكنائس اللاتينيَّة . فانَّ سوقها الوسطى تعلوها قبَّة واسعة قائمة على اربع دعائم متينة وامام السوق رواقٌ وعلى جانبيهِ سوقان أُخريان صغيرتان . ومن جهة الشرق يلحق بقوس القبَّة خورس الهيكل يُرى من جهتيهِ مصلَّيان على شكل جناحي الصليب . وبازائهِ المقدس على طرز حنيَّةٍ . وكلُّ الكنيسة مزدانة بصور القديسين منها ما يمثّل اشخاصهم

بتمامها ومنها نصفيَّة مدوَّرة الشكل وهذه الصور لا تخلو من الاتقان وان يكنْ طمس الدهر بعض محاسنهـا . وفي المصلَّى الشماليّ صورة للبتول الطاهرة يكرمُها الزوَّار غاية الاكرام الَّا انَّ سناج الشمع سوَّدها فلم يكد يترك لها اثرًا

وقد بنى الاقباط في توالي الازمنة امام المقدس حائطاً نصفيًا يفصل المقدس عن صحن الكنيسة كما هو جارٍ عندهم في كنائسهم المستحدثة . ولهذا الحائط باب ينفذ الى الهيكل . وحول الباب افريز ناتئ يبرز منهُ في جهتيـهِ قرنان دقيقا الصنعة لعلَّهما اشارة الى القرنين النوريَّين اللذين ظهرا على جبين موسى الكليم بعد مناجاتهِ لهُ تعالى

وفي شمالي هذه الكنيسة بيعةٌ أُخرى غفلٌ من النقوش بُنيت على الطراز القبطيّ وهي عبارة عن سوق مفردة وِجْهتها من الشمال الى الجنوب ينفذ اليهـا عدَّة معابد مقابلة للشرق

وحضيض الكنيستين مفروش بالحصر وناهيك بذلك دليلًا على انَّ الزوَّار لا يزالون حتى يومنا يتردَّدون اليهما في بعض المواسم وانَّما يتوارد الحجَّاج اليهمـا خصوصاً في السابع من شهر كيهك الواقع فيهِ عيد متى الراهب ويحيون فيهما الليل بالصلاة

وفي ظاهر الدير على مسافة ربع الساعة منهُ بقايا كوخٍ حقير مبني بالآجرّ موقعهُ وسط الرمال زعم الكاهن دليلنا انَّ ثمَّت كان يعيش متّى العابد قبـل ان يشيّد لهُ ملك الحبش هذا الدير

وكان رجوعنا الى اسنا على ضفاف النيل ومرورنا في طريقنـا على اسفنط (اسفينيس القديمة) وهي اليوم قرية كبيرة تُرى فوق قلَّة دكناء تتركَّب من اطلال قَلَبها ارباب العاديَّات ظهرًا لبطن رغبةً في الآثار القديمة المطمورة فيهـا . وفوق البيوت صفٌّ من ابراجٍ واسعة بُنيت للحمام فيخال للرائي انَّ هذه البلدة قلعـة حريزة . وبعد سير حثيث بلغنا آخرًا نهر النيل عند مطانا وهو لقصى ما يُرى من معامل السكَّر في جنوبيّ مصر

٦ اديار شتَّى

لا حاجة الى الافاضة في وصف اديرةٍ عديدة قديمة العهد زرناها في وادي النيل فوق القاهرة فانَّ هذه المقامات لا تختلف كثيرًا عمَّا مرَّ لنا وصفـهُ فنكتفي بذكر ما تفرَّد بهِ بعضها فقط

(دير الحَمام) موقعهُ في ناحية الفيُّوم على حدود الريف يبعد نحو نصف الساعة عن هرم اللاهون ذلك البناء العجيب الذي ناطح الدهر بقرنهِ فصبر على بوائقهِ منذ أُلوف اعوام وهو مع ذلك مبني بسافات من السباخ دون الحجر. وهذا الدير خلوٌ من الرهبان يقصدهُ الجيرة في بعض الاعياد وقد جُدّد بناؤهُ منذ بضعة قرون فشُيّد بأنقاض دير آخر اقدم عهدًا واوسع بناء تُرى في الحضيض منهُ آثار بيّنة. وهندسة الكنيسة على طراز الكنائس الرومية التي سبقت الفتح الاسلامي. اعني انهم جعلوا بازاء الحنيَّة الشرقيَّة حنيَّةً أُخرى على شكل نصف دائرة اصغر منها وِجهتُها المغرب. وقد شاهدنا مثل هذه الحنايا الثانويَّة في اديار اخرى قديمة تُرى في اسفل كنائسها منها دير القديس سمعان او الانبا هدرا قريباً من اسوان

وفي هذا الدير وجد العلاَّمة الاثريّ فلندرس پتري (Flinders Petrie) سنة ١٨٨٩ عددًا وافرًا من كتابات البرديّ يرتقي عهدها الى القرنين الثامن والتاسع للمسيح ينوط معظمها باحوال الدير الزمنيَّة وفي جملتهـا قطعة من رسائل الحواريين القديسين يعقوب ويهوذا كُتبت بلغـة اقباط اخميم وقد نُشر كلُّ ذلك بالطبع في لندن (١

(دير الجبال السبعة) هكذا دعا العلاَّمة المقريزي ديرًا قديمًا موقعهُ في وادٍ قفرٍ شرقيَّ اخميم على مسافة ثلاث ساعات منها. والاهلون يدعونهُ شيخ شاغون. وقد ارتأى بعض الكتبة المحدثين انهُ دير نسطوريوس ولا نعلم على اي سند يدعمون قولهم. اجل انَّ نسطوريوس بعد نفيهِ في احدى واحات الصحراء الليبيَّة نُقل الى اخميم وقضى فيها اجلهُ ولكن ليس لدينا شاهد انهُ حُبس في هذا الدير او في غيرهِ

وفي مُنفَرَجِ للوادي الذي يُفضي بالسائر الى الدير على يمينهِ صخرةٌ كبيرة تدحرجت من الجبل يستظل تحتها السابلة. وفي وجه هذه الصخرة الاسفل عدَّة كتابات ورسوم تشبه آثار وادي مكتّب الشهيرة في شبه جزيرة سينا. وهي عبـارة عن خطوط حفرها المسافرون برؤوس المُدَى. ومعظمها باللغة اليونانيَّة تحتوي في الغالب على اسم الكاتب

(١ راجع David Nutt: *Coptic manuscripts, braught from the Fayoum*, 1893

الذي خطَّها وبينها صلبان وشعار اسم المسيح مع صور عدَّة حيوانات جبليَّـة كالغزلان والاكباش البريَّة الخ

وهذا الدير من صنف المناسك المعروفة باللورا (laure) كان الرهبان يعيشون فيها معتزلين عن بعضهم يجتمعون فقط في الكنيسة التي تُرى آثارها وبعض نقوشها في مضيق الوادي في اسفلهِ. امَّا مآوي الرهبان فكانت في صخور الجبل منقورة فيهِ يركب بعضها فوق البعض وهي صعبة المرتقى

وممَّا حمل النسَّاك على اختيار هـذا الوادي انَّ في قعرهِ عينًا كانوا يستقون من مياهها. وكذلك على مسافة نحو ربع السـاعة من هذا المكان عين أُخرى لكنَّها بكميَّة قليلة الماء

ومن الاديار التي ذكرها المقريزي (١ : ٥٠٤) «دير القرقس» زعم انهُ على مسافة ثلث ساعات من دير السبعة الجبال شرقًا وانهُ «في اعلى جبـل قد نُقر فيهِ ولا يعلم لهُ طريق بل يُصعد اليهِ في نقور في الجبل وتحتهُ ماء عذب واشجار ريَّان». وقد بحثنا عن هذا الدير وسألنا عنهُ اهل اخميم في هذه الناحية فذهبت مساعينا ادراج الرياح

(دير مار جرجس) هو على ضفَّة النيل الشرقيَّة على بعـد ساعة من اخميم وفي مكانهِ اليوم قرية صغـيرة يسكنها النصارى. وكنيسة هذا الدير قديمة وهي احسن مثال لهندسة كنائس الصعيد المشيَّدة بعد العهد اليوناني الروماني اعني انَّ لها سوقًا او سوقين تمتدَّان من الشمال الى الجنوب وتعلوهما القبب المركبة فوق دعائم مربَّعة جُعلت على مسافات متناسبة بعضها من بعض. وفي جهة الشرق سوق ثالثة كل قوس من اقواسها معبدٌ يفضي الى السوق المجاورة وذلك على عددٍ وِتر والمعبد الاوسط اوسع من غيرهِ واكثر زينةً ينتهي على شكل نصف دائرة مقوَّسة وفيهِ الهيكل الذي تُقـام عندهُ الرتب الدينيَّة. والمعابد التي على جوانبهِ واروقة الاسواق التي بازائهِ مختصَّة بالنساء وتفصلها حواجز (شعريَّات) من الخشب المشبَّك او من الآجرّ ذي النوافذ. والباب الكبير في الغالب على جانب الهيكل او بازائهِ. ولمعابد النساء بابان خصوصيَّان. امَّا جرن العماد والفرن الذي يُجهَّز فيهِ خبز الهيكل والموقه فمكانها غالبًا في المعابد المذكورة

١) راجع الخطط للمقريزي ١ : ٥٤

وهذه الكنائس القبطيَّة مبنيَّة بالعرض بالنسبة الى محور الحنيَّة او الهيكل بخلاف كنائسنا اللاتينيَّة التي تمتدُّ بالطول. وهي هندسة تجعل لكنائس الاقباط هيئة غريبة كأنها حوانيت سوق جُعلت معابد للصلاة

ومما يطلعنا على صورة الكنائس القبطيَّة قبل ثلاثة عشر قرنًا كنيسة دير انبا بسادا او بساتيس بازاء مدينة المنشيَّة المعروفة سابقًا باسم بتولمائيس هرْميو وفيها بقرب الهيكل حجرة تحوي ذخائر القديس الذي على اسمهِ بُنيت الكنيسة. وهذا القديس كان اسقفًا على المنشيَّة وعيدهُ عند الاقباط الكاثوليك في ٢٧ كيهك. وكذلك كنيسة دير انبا باخوم (بوخوميوس) شماليّ شرقيّ الكرنك يزعم الفلَّاحون الذين يشتغلون في املاك ذلك الدير انَّ فيها جسد القديس باخوميوس. وكذلك ايضًا كنيسة دير الشهداء او دير أمونيوس على بعد ساعة من اسنا في جنوبها الشرقيّ وفي كلّ هذه الكنائس نقوش رائعة تترقَّى الى ذلك العهد وكلُّها مبنيَّة بالعرض على النمط المذكور سابقًا (تمَّت)

موسى على النيل

معرَّبة عن قصيدة شهيرة لفكتور هوغو الشاعر الفرنسوي بقلم جناب الاديب الفاضل يوسف ابي سليمان مدرّس اليان في كليَّة القديس يوسف

فنزلت ابنة فرعون الى النهر لتغتسل وكانت جواريها سائرات على شاطئ النهر (سفر الخروج ٢ : ٥)

موشح

اللازمة

أَخَواتي الماء قد حاكى السَّما بصفاء راقَ عندَ الغَلَسِ
طلعَ الصبحُ بوجهٍ بَسما فبدا الماء بثغرٍ ألعَسِ

١ يا لها من ساعةٍ فيها أنتُضي نصلُ صبحٍ شقَّ أسدالَ الدُّجى
وجلا عنّا غيومَ المَضَضِ إذ اتانا بجبينٍ أبلَجا
لم يزل حَصَّادُنا في رَبَضٍ ليس إنسٌ نحو ريفٍ عرَّجا
صوت مزمارٍ لم يزل منكتما ونسيمُ الصبحِ مُحيي الانفسِ